## الفصل الثاني

# من رحيق السيرة

١- حياة النبي ﷺ قبل البعثة

٢- منذ البعثة وحتى الهجرة

٣- الهجرة ومرحلة التأسيس

# تمهيد

كانت بعثة النبي ﷺ حدثًا جليلاً في تاريخ البشرية، وكانت لهذه البعثة انعكاسات أثرت تأثيرًا جذريًا في مسيرة هذا التاريخ، فقد استعادت البشرية برسول الله ﷺ عزها وكرامتها، بعد طول مذلة وهوان، إذ بعثه الله ﷻ على فترة من الرسل، ضل فيها الناس، وجحدوا عقولهم وقلوبهم، ونشروا في الأرض خرافات وأباطيل وأوهامًا، واستبد الأقوياء والأغنياء بفرص العيش، وسحقوا تحت أقدامهم الضعفاء والمساكين، وصار الناس كلهم - حُرُّهم وعبدهم - أسرى للمطامع والشهوات

في هذه الفترة الحالكة من تاريخ البشرية اختار الله ﷻ صفوة خلقه محمدًا ﷺ ليبلِّغ الناس جميعًا آخر كتبه ويهديهم آخر شرائعه، فيكون آخر مَنْ حمل رسالة السماء إلى الأرض، فهو ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا نبي بعده ﷺ ولا رسول، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُيُوتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ، قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ» [رواه البخاري، الحديث ٣٢٧١]

ونحن في عرضنا لسيرته ﷺ نريد أن نبين أن محمدًا ﷺ ليس قصة تُتلى، ولا مدائح تُؤلَّف ليترنم بها عاشقوه، فرباط المسلم برسوله الكريم ﷺ أقوى وأعمق من ذلك بكثير، رباط يدفعه إلى الاستمساك بسنته ﷺ والعودة إلى جوهر الدين الحنيف، رباط يجعله يهتم لتقويم نفسه وإصلاح شأنه وشأن أمته، حتى يكون قريبًا من هدي محمد ﷺ، في خلقه وسلمه، وعلمه وعمله، وعاداته وعباداته

إن المسلم الذي لا يعيش والرسول ﷺ في ضميره، ولا تتبعه بصيرته في عمله وتفكيره - لا يُعبأ عنه أبدًا أن يُحرِّك لسانه في اليوم والليلة بألف صلاة عليه ﷺ

*****

# ١- حياة النبي ﷺ قبل البعثة

## قدوم مُتَطر ووصف مُستَطر

لم يكن مبعث النبي ﷺ مفاجأة للعالم، بل كان قدومه متطرًا، ذلك أن الرسالات والكتب السابقة عليه بشرت بمجيئه ﷺ، فقد جاء وصفه في التوراة، وتناقله أهل الكتاب، ومنهم عَلِمَ به بعض العرب، قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ. لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ، قَالَ أَجَلْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي القُرْآنِ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[1] وَحِرْزًا[2] لِلأُمِّيِّينَ[3]، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلا غَلِيظٍ وَلا سَخَّابٍ[4] فِي الأَسْوَاقِ، وَلا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ؛ بِأَنْ يَقُولُوا: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا

[رواه البخاري، الحديث ١٩٨١]

## نسبه ومولده ﷺ:

وُلِدَ ﷺ من أشرف بطون[5] قريش بني هاشم، فعن وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ

---

١ - الآية ٤٥ من سورة الأحزاب

٢ - الحرز الحفظ والصون

٣ - الأميين الامي هو من لا يقرأ ولا يكتب، والمقصود بهم هنا العرب

٤ - سخاب كذا في البخاري، وفي سنن الدارمي والكبرى للبيهقي والأدب المفرد للبخاري (صخاب) بالصاد، وهو الكثير الصخب، والصخب هو اختلاط الأصوات في الأسواق وارتفاعها

٥ - بطون المراد اشرف أسرها وعائلاتها

إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ" [رواه مسلم، الحديث ٤٢٢١]

وكان مولده ﷺ في عام الفيل بعد وفاة والده عبد الله، فعَنْ قَيْسِ بْنِ مَخْرَمَةَ قَالَ: وُلِدْتُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الفِيلِ، فَنَحْنُ لِدَانٍ[1] وُلِدْنَا مَوْلِدًا وَاحِدًا [رواه أحمد، الحديث ١٧٢١٨]

وكان الميلاد يوم الاثنين، قال أبو قَتَادَةَ الأَنْصَارِيُّ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ الاثْنَيْنِ فَقَالَ "فِيهِ وُلِدْتُ وَفِيهِ أُنْزِلَ عَلَيَّ". [رواه مسلم، الحديث ١٩٧٨]

## مكانة الداعية تؤهله للتأثير:

كان لهذا النسب الكريم ولرفعة المكانة الاجتماعية أثر في استمالة الناس إلى دعوته ﷺ، وهما عرف هرَقْلُ الروم صدق نبوته ﷺ، روى ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو سُفْيَانَ رضي الله عنه قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا بِالشَّامِ إِذْ جِيءَ بِكِتَابٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى هِرَقْلَ قَالَ وَكَانَ دَحْيَةُ الْكَلْبِيُّ جَاءَ بِهِ فَدَفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ عَظِيمُ بُصْرَى إِلَى هِرَقْلَ، قَالَ فَقَالَ هِرَقْلُ هَلْ هَا هُنَا أَحَدٌ مِنْ قَوْمِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَدُعِيتُ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَدَخَلْنَا عَلَى هِرَقْلَ فَأُجْلِسْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا مِنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَقُلْتُ أَنَا، فَأُجْلِسُونِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَجْلَسُوا أَصْحَابِي خَلْفِي، ثُمَّ دَعَا بِتَرْجُمَانِهِ فَقَالَ قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: وَايْمُ[2] اللَّهِ لَوْلا أَنْ يُؤْثَرُوا عَلَيَّ الْكَذِبَ لَكَذَبْتُ،

---

١ – لِدان: مولودان

٢ – وايم الله: لفظ من ألفاظ القسم

ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: سَلْهُ كَيْفَ حَسَبُهُ[1] فِيكُمْ؟ قَالَ: قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو حَسَبٍ ... ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُ إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ حَسَبِهِ فِيكُمْ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو حَسَبٍ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي أَحْسَابِ قَوْمِهَا . [رواه البخاري، في الحديث ٤١٨٨]

## رضاعة النبي ﷺ وحضانته:

رضع رسول الله ﷺ في بادئ مولده من امرأة تدعى ثُوَيْبَةَ[2]، وهي التي أرضعت أبا سلمة، قال رسول الله ﷺ « . أَرْضَعَتْنِي وَأَبَا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ. » [رواه البخاري، من الحديث ٤٧١١]، واستكمل رضاعته وحضانته ونشأته الأولى في ديار بني سعد بن بكر عند حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية، وهناك أمضى الرسول ﷺ خمس سنوات، كانت سنوات خير، إذ دَرَّت الضُّروع[3] بعد جفاف ولان العيش وأخصب، مما زاد من تعلق حليمة وزوجها به ﷺ وإعزازهم له، وقيل عودته إلى أمه حصَّنه الله ﷻ بإزالة حظ الشيطان من قلبه ﷺ ليكون جهاده في متابعة الترقي لا في مقاومة التدني، وفي تطهير العامة من المنكر لا في التطهر منه.

## إزالة حظ الشيطان

روى أنس بن مالك ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ[4] فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ فَاسْتَخْرَجَ القَلْبَ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً[5] فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ

---

١ – حسبه: سيرته وشرفه.

٢ – ثويبة: مولاة لأبي لهب، كان أبو لهب أعتقها.

٣ – درّت الضروع: حفلت باللبن، والضروع: أثداء الإبل والغنم.

٤ – صرعه: أنامه على ظهره.

٥ – العلقة: قطعة يسيرة من دم متجمد.

فِي طَسْتٍ[1] مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لأَمَهُ[2]، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي ظِئْرَهُ[3] - فَقَالُوا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ[4] اللَّوْنِ. [رواه مسلم، من الحديث ٢٣٦] وعُرِفت هذه الحادثة بحادثة شق الصدر الأولى

## تركية الفطرة وإنماء المشاعر

كانت تنشئة النبي ﷺ في البادية، ومرحه في كنف الطبيعة التي خلقها الله ﷻ، واستمتاعه ﷺ بحوها الطلق وشعاعها المرسل من أسباب تركية الفطرة وإنماء الأعضاء والمشاعر، وإطلاق العواطف، ومن ثمار مثل هذه التنشئة اتساق الإنسان مع حقائق الكون الذي وجد فيه، وتوافقه الفطري مع ضوابطه وقوانينه

## يُتْمٌ يُرَبِّي سبيل المشاعر:

واكتمل يتمه ﷺ بعد ذلك بوفاة والدته، فبعد أن مات أبوه وهو جنين، فقد أمه أيضًا وهو ابن ست سنوات، هذا اليتم جعله من أكثر الناس إحساسًا بالمعاني الإنسانية والعواطف النبيلة تجاه الضعفاء والفقراء والمحتاجين، وفي كل زمان يحتاج الدعاة أن يُكَوِّنوا في أنفسهم مثل هذا الرصيد الكبير من المشاعر تجاه المستضعفين

عادت أم أيمن رعايتها للنبي ﷺ بعد وفاة والدته، قَالَ ابن شِهَابٍ

---

١ - الطست الإناء

٢ - لأمه ضم بعضه إلى بعض

٣ - الظئر المرضعة، وتطلق أيضًا على زوجها

٤ - منتقع متغير

وَكَانَ مِنْ شَأْنِ أُمِّ أَيْمَنَ أُمِّ أُسَامَةَ بن زَيْد أَنَّهَا كَانَتْ وَصِيفَةً[1] لِعَبْد اللَّه بن عَبْد الْمُطَّلب، وَكَانَتْ مِنَ الْحَبَشَة، فَلَمَّا وَلَدَتْ آمِنَةُ رَسُولَ اللَّه ﷺ بَعْدَ مَا تُوُفِّيَ أَبُوهُ، فَكَانَتْ أُمُّ أَيْمَنَ تَحْضُنُهُ حَتَّى كَبِرَ رَسُولُ اللَّه ﷺ فَأَعْتَقَهَا، ثُمَّ أَنْكَحَهَا زَيْدَ بن حَارِثَةَ، ثُمَّ تُوُفِّيَتْ بَعْدَ مَا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّه ﷺ بِخَمْسَةِ أَشْهُرٍ [رواه مسلم، من الحديث ٣٣١٨]

## النحابة تؤهل للصدارة.

لاحت أمارات النجابة والذكاء عليه ﷺ منذ صغره، الأمر الذي أهَّله أن يكون له الصدارة بحوار مجلس جده، وكان يَردُّه أعمامه فيُسافح عنه جَدُّه قائلاً دعوه ،فوالله إن له لشأنًا

وعلى هذا المنوال سار عمه أبو طالب، فقد كان يصحبه معه حتى في رحلات التجارة إلى الشام، فعن عبد الله بن قيس قَالَ. خَرَجَ أَبُو طَالِب إِلَى الشَّامِ وَخَرَجَ مَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَشْيَاخٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَى الرَّاهِبِ هَبَطُوا فَحَلُّوا رِحَالَهُمْ فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الرَّاهِبُ - وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَمُرُّونَ بِهِ فَلا يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ وَلا يَلْتَفِتُ - قَالَ: فَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمْ[2] الرَّاهِبُ حَتَّى جَاءَ فَأَخَذَ بِيَدِ رَسُولِ اللَّه ﷺ قَالَ هَذَا سَيِّدُ الْعَالَمِينَ، هَذَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَبْعَثُهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ مَا عِلْمُكَ؟ فَقَالَ إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ مِنَ الْعَقَبَةِ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلا حَجَرٌ إِلا خَرَّ سَاجِدًا، وَلا يَسْجُدَانِ إِلا لِنَبِيٍّ، وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ أَسْفَلَ مِنْ غُضْرُوفِ كَتِفِهِ مِثْلَ التُّفَّاحَةِ، ثُمَّ رَجَعَ فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا، فَلَمَّا

---

١ - وصيفة مملوكة

٢ - يتخللهم يمر بينهم

أَتَاهُمْ بِهِ وَكَانَ هُوَ[1] فِي رِعْيَةِ الإِبِلِ قَالَ أَرْسِلُوا إِلَيْهِ فَأَقْبَلَ وَعَلَيْهِ عَمَامَةٌ تُظِلُّهُ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْقَوْمِ وَجَدَهُمْ قَدْ سَبَقُوهُ إِلَى فَيْءِ[2] الشَّجَرَةِ، فَلَمَّا جَلَسَ مَالَ فَيْءُ الشَّجَرَةِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَى فَيْءِ الشَّجَرَةِ مَالَ عَلَيْهِ، قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ عَلَيْهِمْ وَهُوَ يُنَاشِدُهُمْ أَنْ لا يَذْهَبُوا بِهِ إِلَى الرُّومِ؛ فَإِنَّ الرُّومَ إِذَا رَأَوْهُ عَرَفُوهُ بِالصِّفَةِ فَيَقْتُلُونَهُ، فَالْتَفَتَ فَإِذَا بِسَبْعَةٍ قَدْ أَقْبَلُوا مِنَ الرُّومِ فَاسْتَقْبَلَهُمْ فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟ قَالُوا. جِئْنَا، إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ خَارِجٌ فِي هَذَا الشَّهْرِ، فَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ إِلا بُعِثَ إِلَيْهِ بِأُنَاسٍ، وَإِنَّا قَدْ أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ بُعِثْنَا إِلَى طَرِيقِكَ هَذَا، فَقَالَ. هَلْ خَلْفَكُمْ أَحَدٌ هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ، قَالُوا: إِنَّمَا أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ بِطَرِيقِكَ هَذَا، قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ أَمْرًا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَهُ هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رَدَّهُ؟ قَالُوا لا ، قَالَ. فَبَايَعُوهُ[3]، وَأَقَامُوا مَعَهُ، قَالَ أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ أَيُّكُمْ وَلِيُّهُ؟ قَالُوا أَبُو طَالِبٍ، فَلَمْ يَزَلْ يُنَاشِدُهُ حَتَّى رَدَّهُ أَبُو طَالِبٍ وَبَعَثَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ بِلالاً، وَزَوَّدَهُ الرَّاهِبُ مِنَ الْكَعْكِ وَالزَّيْتِ [رواه الترمذي ، الحديث ٣٥٥٣، وكل رواته ثقات].

## إيجابية الدعاة من إيجابية نبيهم

شارك النبي ﷺ قومه في أمور الخير، فقد شهد معهم حلفًا على نصرة المظلوم، وإرجاع حقه إليه، فعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن عَوْفٍ قَالَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "شَهِدْتُ غُلامًا مَعَ عُمُومَتِي حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ وَأَنِّي أَنْكُثُهُ[4]". [رواه أحمد، الحديث ١٥٨٦].

---

١ - يعني محمدًا ﷺ

٢ - الفيء الظل

٣ - فبايعوه فوافقوه

٤ - أنكثه أنقضه وأحالفه

كما شارك قومه في بناء الكعبة عندما حددت قريش بناءها، فعن جَابِرَ ابن عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ الْحِجَارَةَ لِلْكَعْبَةِ [رواه البخاري، من الحديث ٣٥١]

ولعل ذلك هو الذي أدى إلى أن يدفع أئمة دعاة الحق أتباعهم إلى الإسهام في الخير العام واتخاذه غاية قريبة، وإنك لتسمع قائلهم يُعَرِّف هذه الغاية القريبة لأهل الحق بقوله "هي المساهمة في الخير العام، أيًّا كان لونه ونوعه، والخدمة الاجتماعية كلما سمحت بها الظروف "[1] ويقول: "تعمل على تعليم الأميين وتلقين الناس أحكام الدين، وتقوم بالوعظ والإرشاد والإصلاح بين المتخاصمين، والتصدق على المحتاجين، وإقامة المشتشات النافعة من مدارس ومعاهد ومستوصفات ومساجد "[2]

## استقامة ترفع الرأس:

عصم الله تعالى نبيه ﷺ من لهو الجاهلية وعبثها من قبل البعثة، فنشأ ﷺ لم يعبد وثنًا ولم يأكل شيئًا ذبح لغير الله، ولم يشرب خمرًا، ولم يعرف فحش القول

إنَّ لسلوك الداعية الشخصي الناصع وشخصيته أثرًا فيمن يدعوهم، والداعية الحق يصون حياته من التلوث، حتى لا يكون هناك مثار للشك في صدقه بسبب ماضيه، وحتى لا يجد أحدٌ معبرًا في ماضي الداعي يأخذه عليه، فيظل مرفوع الرأس لا يطارده ماض مُلَوَّث.

---

١ - من رسالة المؤتمر السادس، مجموعة رسائل الإمام، ص ٥٢، ط. المؤسسة الإسلامية.

٢ - من رسالة المؤتمر السادس، مجموعة رسائل الإمام، ص ٥٢، ط. المؤسسة الإسلامية

## ومهنة تعف اليد

وعمل ﷺ مد ريعان الشباب لكسب رزقه، فعمل أولاً برعي الأغنام لأهل مكة بأجر زهيد، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ "مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلا رَعَى الْغَنَمَ" فَقَالَ أَصْحَابُهُ وَأَنْتَ؟ فَقَالَ "نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ[1] لأَهْلِ مَكَّةَ" [رواه البخاري، الحديث ٢ ٢١]

ثم عمل ﷺ بعد ذلك في التجارة، فالداعية الحق يعتمد على جهده الشخصي في المعيشة بعيدًا عن السؤال والاستجداء، فبذلك فقط يستطيع الدعاة أن يقولوا وهم مرفوعو الرأس "فلسنا نسأل الناس شيئًا، ولا نقتضيهم مالاً، ولا نطالبهم بأجر، ولا نريد لهم وجاهة، ولا نريد منهم جزاءً ولا شكورًا"[2]

وفضلاً عن ذلك فإن العمل والخلطة والاحتكاك بالناس يُكسب الداعية الخبرة ويُعرِّفه بعادات الناس وأوضاعهم ومشكلاتهم، وأكثر الأعمال إفادة في هذا المضمار الأعمال الاقتصادية الحرة، مثل التجارة التي اهتدى رسول الله ﷺ إلى ممارستها، لهذا أوجب دعاة الإسلام ذلك على أنفسهم، يبدو ذلك في وصايا أحد أئمتهم لهم، يقول - في نطاق عرضه لواجبات الداعية - "أن تزاول عملاً اقتصاديًا مهما كنت غنيًا، وأن تُقدم على العمل الحُر مهما كان ضئيلاً، وأن تروح بنفسك فيه مهما كانت مواهبك العلمية وأن تحرص كل الحرص على أداء مهنتك من حيث الإجادة والإتقان وعدم العنت وضبط الموعد"[3]

---

١ - القيراط جزء من الدينار

٢ - من رسالة دعوتنا، مجموعة رسائل الإمام، ص ١٣، ط المؤسسة الإسلامية

٣- من رسالة التعاليم، مجموعة رسائل الإمام، ص٣٦٦، ط المؤسسة الإسلامية

وكانت تجارة الرسول ﷺ مودحًا في دلك كله، وعُرِفت سماحته وبراهته وعِفَّته، وأصبح محطَّ أنظار شرفاء قريش وشريفاتها، فدعته السيدة خديجة بنت خويلد الشريفة القرشية للتجارة في مالها، ثم عرضت عليه الزواج عن طريق صديقتها نفيسة بنت منية، فتزوجها ﷺ وهو ابن خمسة وعشرين عامًا

## الخلوة تصقل القلب وتسمو بالروح:

ألهم الله ﷻ نبيه ﷺ الاعتلاء في عار حراء، قالت عَائِشَةُ - رضي الله عنها - كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إِلا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ[1] الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاءُ، فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ أُولاتِ الْعَدَدِ[2] قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدَ لِذَلِكَ[3]، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ[4] وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ [رواه مسلم، من الحديث ٢٣١]

في عار حراء كان محمد ﷺ يتعبد ويصقل قلبه ويقي رُوحَه ويقترب من الحق جُهْدَه، ويتعد عن الباطل ما وَسِعَه، والخُلوة فرصة للتقويم والمحاسبة والتفكر، وهي أمور لا تنفك عن حياة الدعاة، وسيا ﷺ لم يتلقَّ علمًا على راهب أو كاهن أو فيلسوف ممن طهروا على عهده، ولكن بالخُلوة وبعقله الحصب وفطرته الصافية طالع صحائف الحياة وشئون

---

١ - الفلق النور

٢ - المقصود الها ليال لا يُعلم عددها

٣ - أي يأخذ ما يكفيه من الطعام والشراب

٤ - تعني الوحي

الناس وأحوال الجماعات، فعاف ما ساءه من انحرافات، ثم خالط الناس على بصيرة من أمره وأمرهم، فما وجده حَسَنًا شارك فيه، وإلا عاد إلى خُلوته يتابع المطر

والدعاة والمصلحون في كل زمان ومكان هم بحاجة للتزود من زاد الخلوة، خاصة إذا ما كانت المجتمعات التي يعيشونها تعج بالفساد والضلال

*****

# ٢- منذ البعثة وحتى الهجرة

وجاء أوان البعثة، فما أن انقضت ستمائة سنة بعد بعثة عيسى ابن مريم عليه السلام حتى جاء أوان بعثة محمد ﷺ، قَالَ سَلْمَانُ فَتْرَةٌ بَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ - سِتُّمِائَةِ سَنَةٍ [1] [رواه البخاري، الحديث ٣٦٥٤]

عندما نتابع قصة بدء الوحي في صحيح الحديث الشريف تخلق بنا مشاعر لا نجدها إلا في رحاب مثل هذه النصوص، وفي الأحاديث الطويلة التي رواها البخاري عن بدء الوحي نستطيع أن نمير بدء نبوته ﷺ، ونتعلم قاعدة من قول السيدة خديجة مفادها أنَّ الأبرار لا يُخذلون، وقانونًا من ورقة ابن نوفل يُبَيِّن أنَّ مقاومة الأنبياء والمرسلين سُنَّةٌ ماضية في الظالمين، ثم نعايش فتور الوحي وثمرته التربوية قبل بدء الرسالة بأعمالها

**بدء نُبوَّته ﷺ**

قالت عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ - رضي الله عنها - : أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إِلا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ [2] إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدَ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ اقْرَأْ، قَالَ ﷺ «مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ

---

١ - ذلك على التقريب، فإن الرسول ﷺ وُلِد في عام ٥٧١م

٢ - ينزع يعود

فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي[1] حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي[2]، فَقَالَ اقْرَأْ، قُلتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ، فَقُلتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾[3]»، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فَقَالَ «زَمِّلُونِي[4] زَمِّلُونِي»، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ[5]

[رواه البخاري، من الحديث ٣]

## الأبرار لا يُحدِّلون ولا يُحْزَون.

تُتابع أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - رواية الحديث فتقول فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ كَلا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ[6] اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ[7]، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ[8] وَتَقْرِي الضَّيْفَ[9] وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ[10] الحَقِّ [رواه البخاري، من الحديث ٣]

وهنا يتجلى دور الزوجة الصالحة، ممثلاً في موقف السيدة خديجة -رضي الله عنها - إذ وقعت مع زوجها ﷺ فلم تُسفِّه كلامه،

---

١ - غطّه ضمه ضمًّا شديدًا

٢ - ارسلني تركني

٣ - الآيات ١ ، ٢ ، ٣ من سورة العلق

٤ - زملوني غطوني

٥ - الروع الفزع

٦ - ما يخزيك لا يُذلك ولا يصيبك

٧ - الكَلّ العاجز

٨ - المعدوم الفقير

٩ - تقري الضيف تحسن وفادته وصلته

١٠ - النوائب المصائب

و لم تسحر مه، بل صدقته في كل ما قال، وطمأنته حين قلق، وأراحته حين جَهَد، وذكّرته مما فيه من فضائل، مؤكدة له أن الأسرار أمثاله لا يحزون أبدًا، فكانت -رضي الله عنها - نعم الروح ونعم الرفيق ونعم الناصر ونعم المعين، واستحقت موقفها هذا أن يحييها رب العالمين، فيرسل إليها السلام مع الروح الأمين[1]، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِه خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ[2] أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ[3] لا صَخَبَ[4] فِيهِ وَلا نَصَبَ[5] [رواه البخاري، الحديث ٣٥٣٦]

## مقاومة دعاة الحق عادة بشرية

وتستكمل السيدة عائشة - رضي الله عنها - روايتها للحديث فتقول فَانْطَلَقَتْ به خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ به وَرَقَةَ بن نَوْفَلِ بن أَسَدِ بن عَبْد العُزَّى ابن عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ[6] فِي الجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ يَا ابن عَمِّ اسْمَعْ مِنِ ابن أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ يَا ابن أَخِي، مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ[7] الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي

---

١ - هو جبريل عليه السلام

٢ - الإدام ما يؤكل مع الخبز من الطعام

٣ - القصب الدُّر المرصع بالجواهر

٤ - الصخب الصوت المختلط المرتفع

٥ - النصب التعب

٦ - تنصر اعتنق النصرانية

٧ - الناموس المقصود به صاحب السر، يعني جبريل عليه السلام

فِيهَا جَذَعًا[1] لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟!» قَالَ نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِـهِ إِلا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا[2]، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ[3] وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ[4] الوَحْيُ. [رواه البخاري، من الحديث ٣]

## فتورٌ يُشْعِرُ بالقيمة وحزنٌ يَشحَذُ العزيمة

فتر نزول الوحي على النبي ﷺ وانقطع نزوله لمدة معينة اختلف في تحديدها كُتّاب السير، وكانت فترة الانقطاع هذه فترة عصيبة على النبي ﷺ حَزِنَ فيها حزنًا شديدًا، فلقد ظنَّ أنَّ ربه ﷻ هجره، وتصور أنه قد حُرِمَ من هذه النِّعْمَة العظيمة، تقول السيدة عائشة - رضي الله عنها - « ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا بَلَغَنَا حُزْنًا عَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الجِبَالِ[5]، فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ[6]، وَتَقِرُّ نَفْسُهُ، فَيَرْجِعُ، فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الوَحْيِ عَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ، فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ [رواه البخاري، من الحديث ٦٤٦٧]

وامتزج حُزْنُ النبي ﷺ أثناء فتور الوحي باشتياقه ﷺ لوحي ربه ﷻ،

---

١ - الجذع الشاب الصحيح القوي

٢ - مؤزرًا قويًا عظيمًا

٣ - لم ينشب لم يلبث، أي لم يمكث إلا فترة قصيرة

٤ - فتر الوحي انقطع لمدة

٥ - لم ينشب لم يلبث إلا مدة قصيرة

٦ - أي يرمي نفسه من فوق الجبال العالية، حزنًا وحيقًا

٧ - قلبه

ومثل هذه المشاعر من شأنها أن تُحسِّد للإنسان عِظَمَ النعمة التي أنعم الله بها عليه، ومثل هذا الشوق من شأنه أن يهيئ النبي ﷺ لتَحَمّل مشاق ما هو مقبل عليه من تكاليف وأعباء الدعوة والرسالة، ولهذا أثره في تعاظم استمساكه ﷺ بما سيُوحَى إليه، وله أثره في زيادة ثباته على أمر ربه في مواجهة الصعاب الشديدة التي تواجه أصحاب الدعوات، إنها صعاب تجعل هذه الدعوة "لا يصلح لها إلا من حاطها من كل حوانبها، ووهب لها ما تُكلِّفه إياه من نفسه وماله ووقته وصحته، فهي دعوة لا تقبل الشركة، فمن استعد لذلك فقد عاش بها وعاشت به"[1]، وكل ذلك لا يتحقق إلا لِمَن أحب دعوته، واشتاق إليها وفي فيها

## نهاية الفتور وبدء الرسالة.

وجاء اليوم الذي استَكْمَلت فيه التربية فتور الوحي أهدافَها، وآنَ للنبيِّ ﷺ أن يصبح رسولاً مُكلفًا هداية العالمين، فعن جَابِر بن عَبْد اللَّه الأَنْصَارِي قال: قال: قال رسول الله ﷺ: "...بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصَرِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ فَرُعِبْتُ مِنْهُ فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ﴾[2] إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾[3]، فَحَمِيَ[4] الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ" [رواه البخاري، بقية الحديث ٣]

ولا أهمية كبيرة لتحقيق كم طالت مدة فتور الوحي، وهل كانت

---

١ – من رسالة دعوتنا، مجموعة رسائل الإمام، ص ١٤، ط دار الشهاب، (بتصرف)

٢ – من سورة المدثر الآيات ١، ٢

٣ – من سورة المدثر الآية ٥

٤ – اشتد

ستة أشهر أم كانت ثلاث سنوات، لكن الأهمية تكمن في فهم أثر تربية دعاة الحق على تقدير أهمية ارتباطهم بركب الدعوة، وهي تكمن في إدراك أن مَن يشتاق قلبه إلى حلاوة العمل في سبيل الله ﷻ هو الذي يُوفَّق إلى تحمل التبعات والثبات على المبادئ

وهكذا دعاة الحق في كل زمان ومكان، عندما يشعرون أن دعوة الحق إن لم تقم بهم قامت بغيرهم، فإنهم يسألون الله ﷻ أن يستعملهم فيها ولها، ويرددون حرصًا على أن يلحقوا بركبها، وعندما يحول حائل بين دعاة الحق وبين شرف العمل فيها، وحلاوة التقرب إلى الله ﷻ بالبذل من حلالها، فإنهم يرددون شوقًا إلى فَرَجٍ من الله ﷻ يستطيعون به خدمتها، وتراهم ثابتين على مبادئها، حافظين أصولها، مخلصين وهم يتحملون تبعاتها وما قد يصيبهم من مشاق بسببها

## بناء القاعدة الصلبة

توارى رسول الله ﷺ في مكة وأخذ يدعو للإسلام مَن رجَحَ عقله في خفاء، وأخذ يُربِّي من يؤمن معه بالصلاة (الدعاء) فعَنِ ابن عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّه عَنْهمَا - قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مُتَوَارِيًا بِمَكَّةَ، وَكَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَإِذَا سَمِعَ الْمُشْرِكُونَ سَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ لِنَبِيِّهِ ﷺ ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾[1]. [رواه البخاري، الحديث ٦٩٩٢]

## الجهر بالدعوة في الأقربين

وعندما أذِنَ الله ﷻ بالجهر بالدعوة، بادر الرسول ﷺ إلى تمهيد الأمر تمامًا كما جاء، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ

---

١ - من الآية ١١٠ من سورة الإسراء

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[1]، قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» [رواه البخاري، الحديث ٢٥٤٨]

ويحكي ابن عباس - رضي الله عنهما - موقفًا آخر للنبي ﷺ فيقول. صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي «يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ» لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولاً لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ فَقَالَ «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا نَعَمْ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلا صِدْقًا، قَالَ «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ تَبًّا[2] لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾»[3] [رواه البخاري، الحديث ٤٣٩٧] ولقد حرص ﷺ في بادئ دعوته على طمأنة عشيرته، فأوضح لهم أنه ما يريد لهم إلا الخير، يروي زُهَيْرُ بْنُ عَمْرٍو أنه ﷺ نَادَى: «يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ إِنِّي نَذِيرٌ، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ رَأَى الْعَدُوَّ فَانْطَلَقَ يَرْتَأُ أَهْلَهُ[4] فَخَشِيَ أَنْ يَسْبِقُوهُ فَجَعَلَ يَهْتِفُ يَا صَبَاحَاهْ[5]» [رواه مسلم، من الحديث ٦ ٣]

---

١ - الآية ٢١٤ من سورة الشعراء

٢ - التب الهلاك والخسران

٣ - الآيتان ١ ، ٢ من سورة المسد

٤ - يرتأ أهله يتطلع لهم ليحفظهم

٥ - ياصاحاه كلمة استغاثة

وما زال رسول الله ﷺ بعشيرته حتى أوضح لهم بغير أدنى لبس أن نجاتهم في الإيمان معه، والتزام دعوة الحق، فعَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ "إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ. يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ[1] فَالنَّجَاءَ[2]، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَدْلَجُوا[3] فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ" [رواه مسلم، الحديث ٤٢٣٣]

ومن ذلك يتعلم دعاة الحق في كل زمان ومكان أن يتفانوا في أداء الواجبات التي تفرضها الدعوة عليهم، يقدمونها فورًا وبدقة وكما تُطلب منهم تمامًا، ثم يحرصون على أن يدرك قومهم ومواطنوهم "أنهم أحب إليهم من نفوسهم، وأنه حبيب إلى هذه النفوس أن تذهب فداء لعرضهم إن كان فيها الفداء، وأن ترهق دمًا لمجدهم وكرامتهم ودينهم وآمالهم إن كان فيها العناء، وعندما يُوَجِّهون الدعوة للناس، فإنهم يصارحونهم بغايتهم، ويُجَلُّوا أمامهم مهاجهم في غير لبس ولا غموض"[4]

## إعلان الدعوة في العالمين

وبعد سنوات ثلاث، بلغ عدد المسلمين في القاعدة الصلبة ثلاثين، وصدر أمر الله ﷻ بإعلان الدعوة في العالمين، فقال ﷻ. ﴿فَاصْدَعْ بِمَا

---

١ – النذير العريان: مثل قديم أصله أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المحافظة سرع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيدًا عنهم ليحوهم بالأمر

٢ – النجاء: أي اطلبوا النجاة

٣ – أدلجوا: ساروا أول الليل

٤ – من رسالة دعوتنا، مجموعة رسائل الإمام، (بتصرف)

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[1]، وبدأ الحق يمضي دون اكتراث بسطوة المشركين، وبدأت القاعدة الصلبة تتسع بانضمام آخرين إلى مدرسة الأرقم بن أبي الأرقم، تلك الدار التي كان المصطفى ﷺ يجمع المؤمنين فيها، ويلتقي بهم سرًّا، ليُعَلِّمهم أمور دينهم ويزيد من إيمانهم

## الابتلاء سُنَّةُ الدعوات

بإعلان الدعوة في العالمين، انفجر مشركو مكة بمشاعر الغضب، وطلوا عشرة أعوام يَعُدُّون المسلمين عُصاة خارجين، وصاحت هذه العداوة المشتعلة حرب من السخرية والتحقير قُصد بها إضعاف قوى المسلمين المعنوية، فرُمي النبي ﷺ وصحابته بُتُهم هازلة وشتائم سفيهة، قالوا عنه ﷺ إنه مجنون ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[2]، ووصموه بالسحر والكذب ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾[3]، ولم يكن حظ سائر المسلمين أفضل من ذلك، فهم في عُدُوِّهم ورواحهم محل التندر واللمز ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾[4]

وتطورت هذه الحرب المعنوية إلى تكبيل وسفك قدم المستضعفين من المؤمنين، فمن ليست له عُصْبَة تدفع عنه لا يعصمه من الهوان والقتل

---

١ – الآية ٩٤ من سورة الحجر

٢ – الآية ٦ من سورة الحجر

٣ – الآية ٤ من سورة ص

٤ – الآيات من ٢٩ ٣٣ من سورة المطففين

شيء، بل يُحْبَس على الآلام والتعذيب حتى يكفر أو يموت أو يسقط إعياءً.

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلامَهُ سَبْعَةٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعَمَّارٌ وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ وَصُهَيْبٌ وَبِلالٌ وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ. [رواه ابن ماجة، من الحديث ١٤٧]

مات ياسر من العذاب، وشددوا العذاب على عَمَّار، بالحر تارة، وبوضع الصخر على صدره أخرى، وبالتعريق أخرى، أما بلال فكان سيده أمية بن خلف - إذا حميت الشمس وقت الظهيرة - يُقَلِّبه على الرمال الملتهبة، ويأمر بالصخرة الحسيمة فتلقى على صدره، ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى، فما يريد بلال عن ترديد قول أحد أحد [١]

وبالت المرأة شرف تحمل الأذى في سبيل دينها ودعوتها، فلم يُفَرِّق الطغاة في تعذيبهم للمؤمنين بين رجل وامرأة، فكانت السيدة سُمية - أم عمَّار - مثلاً أعلى للنساء المسلمات في كل عصر، في عمق الإيمان والبذل والتضحية في سبيل الله، والصبر على الإيذاء حتى الرمق الأخير، ولقد لاقت من العذاب الكثير، وقيل إن أبا جهل - عليه لعنة الله - طعنها في قُبُلها بحربة كانت في يده فماتت

لقد فهم دعاة الحق من كل ذلك أن الابتلاء سنة من سنن الدعوات، بل إن منهم من حرص على التشبه إلى ذلك قبل حدوثه، فيقول

---

١ - محمد الغزالي، فقه السيرة، ط دار الدعوة، ص١٢٠ ١٢٣ (بتصرف)

أحد الأئمة "وسيتدرع العاصون بكل طريق لمناهضتكم وإطفاء نور دعوتكم، وسيثير الجميع حول دعوتكم عار الشبهات وظلم الاتهامات، وسيحاولون أن يلصقوا بكم كل نقيصة، وأن يظهروها للناس في أبشع صورة، معتمدين على قوتهم وسلطانهم، ومعتدِّين بأموالهم ونفوذهم، وستدخلون بذلك -ولا شك- في دور التجربة والامتحان، فتسجنون وتعتقلون، وتنفون وتشردون، وتصادر مصالحكم وتعطل أعمالكم وتفتش بيوتكم، وقد يطول بكم الامتحان "[1]، لقد عَدَّها بعض مَن سمعها سوءة، لكنها كانت تنم عن فهم عميق لسيرة النبي ﷺ

## الإيذاء يطُول القيادة كما يطُول الصف.

ومع أن الله ﷻ قد عصم نبيه ﷺ من أن يقتله أحد من المشركين ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[2]، إلا أنه ﷺ لاقى من صنوف الإيذاء الأخرى ما لاقى أصحابه، فلم يكن معزولاً عنهم معمًا إذ هم مصطفدون، بل طاله الإيذاء كما طالهم

فعلاوة على اتهامه ﷺ بالكذب والسحر، وتعييره ﷺ بأنه أبتر لا ولد له، ووضع الشوك في طريقه وعلى بابه، فقد أوشك أحد المشركين أن يقتل رسول الله ﷺ حقًا، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَمْرِو بن العَاصِ بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي بِفِنَاءِ الكَعْبَةِ إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بن أَبِي مُعَيْطٍ، فَأَخَذَ بِمَنْكِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَوَى ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا، فَأَقْبَلَ

---

١ - من رسالة بين الأمس واليوم، مجموعة رسائل الإمام، ص ١٤٣، دار الشهاب

٢ - من الآية ٦٧ من سورة المائدة

أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾[1] [رواه البخاري، من الحديث ٤٤٤١]

ويحكي عَبْدُ اللَّه بن مسعود ﷺ مشهدًا من مشاهد إيذاء المشركين للنبي ﷺ فيقول: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدٌ وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ، جَاءَ عُقْبَةُ بن أَبِي مُعَيْطٍ بِسَلَى[2] جَزُورٍ فَقَذَفَهُ عَلَى ظَهْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ، فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ - عَلَيْهَا السَّلام - فَأَخَذَتْهُ مِنْ ظَهْرِهِ وَدَعَتْ عَلَى مَنْ صَنَعَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ المَلأَ مِنْ قُرَيْشٍ أَبَا جَهْلِ بن هِشَامٍ وَعُتْبَةَ بن رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بن رَبِيعَةَ وَأُمَيَّةَ بن خَلَفٍ أَوْ أُبَيَّ بن خَلَفٍ» -شُعْبَةُ[3] الشَّاكُّ - فَرَأَيْتُهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ، فَأُلْقُوا فِي بِئْرٍ غَيْرَ أُمَيَّةَ بن خَلَفٍ أَوْ أُبَيٍّ تَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهُ فَلَمْ يُلْقَ فِي البِئْرِ [رواه البخاري، الحديث ٣٥٦٥]

كما أمر أبو لهب - عم النبي ﷺ - ابنيه عتبة وعتيبة بأن يطلّقا ابنتي النبي ﷺ رقية وأم كلثوم[4]، حتى يتقل كاهل النبي ﷺ بهما ويشق عليه، فطلقاهما

## قيادة حيرة تُثبِّت الصف وتبعث الأمل:

عندما تزايد أذى المشركين استصغر بعض المؤمنين رسول الله ﷺ، لكنه ﷺ عَمِلَ على بث روح الثبات في قلوبهم، وحرص ﷺ على أن يدرك المسلمون أن وقوع الإيذاء سُنَّة في الدعوات، يقول خَبَّابُ أَتَيْتُ

---

١ - من الآية ٢٨ من سورة غافر

٢ - سلى الجزور: ما يخرج من الناقة بعد الولادة [المشيمة]

٣ - شعبة: أحد الرواة

٤ - كان زواج ابني أبي لهب بابنتي النبي ﷺ قبل البعثة

النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً[1] وَهُوَ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، وَقَدْ لَقِينَا مِنَ المُشْرِكِينَ شِدَّةً فَقُلتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلا تَدْعُو اللَّهَ؟ فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ، فَقَالَ "لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ المِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَلَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إِلا اللَّهَ - زَادَ بَيَانٌ- [2] وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ" [رواه البخاري، الحديث ٣٥٦٣]

إن التفاعل مع هذا الموقف من السيرة هو الذي يُفسِّر صحة نفسية دعاة الحق في كل زمان ومكان حين يرون كل ما حولهم يُبَشِّر بالأمل رغم تشاؤم المتشائمين، فيُعلنوها مدوية "أنا لست يائسين من أنفسنا، وأنا نأمل خيرًا كثيرًا، ونعتقد أنه لا يحول بيننا وبين النجاح إلا اليأس"[3]، ثم هم يقولون: "الأمل سلاح، فنحن لا نيأس ولا نتعجل ولا نسبق الحوادث ولا نُضعف من همتنا طول الجهاد"[4]، كما أنهم لا ينسون "أن حقائق اليوم هي أحلام الأمس، وأحلام اليوم حقائق الغد، وتلك نظرة يؤيدها الواقع ويقررها الدليل والبرهان"[5]

## الابتلاء فرز وتمحيص

لم يشأ الله ﷻ أن يجعل سبيل الذين آمنوا في مكة إلى التمكين وإقامة المجتمع المسلم سهلاً بدون مشقات، فالطريق السهل يسلكه المخلص والمنافق، ولا يصبر على مشقة الطريق إلا من كان إيمانه صادقًا

---

١ - كساء مخطط يلتحف به

٢ - بيان اسم أحد الرواة

٣ - من رسالة دعوتنا، مجموعة رسائل الإمام، ص ٢٩، ط المؤسسة الإسلامية، (بتصرف)

٤ - مجموعة رسائل الإمام، ص ٢٦٩ ط المؤسسة الإسلامية

٥ - مجموعة رسائل الإمام، ص ٥١ ط دار الشهاب

قويًّا، وبذلك يُمَكِّن للإسلام على أكتاف من رالت عنهم عيوبهم، وبان صدق إيمانهم، فالفتنة والابتلاء يُظهران صدق الصادقين وكذب الكاذبين وادعاء المدَّعين، يقول ﷻ: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾[1]، وقال أيضًا ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[2]

أودي أصحاب رسول الله ﷺ، حتى مات منهم من مات تحت العذاب، وعمي من عمي، رغم عظيم فضلهم وجليل قدرهم عند الله ﷻ، وعلى المسلمين أن يستبشروا بالنصر كلما رأوا أنهم يتحملون مزيدًا من الضُّر والنكبات سعيًا إلى تحقيق أمر ربهم ﷻ، يقول ﷻ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[3]

وقد أثَّرَ هذا المعنى في حَمَلَة دعوة الحق في كل زمان ومكان، لذلك لا نستغرب من كلامهم مثل قولهم: "ستحدون أمامكم كثيرًا من المشقات، وسيعترضكم كثير من العقبات وفي هذا الوقت وحده تكونون قد بدأتم تسلكون سبيل أصحاب الدعوات"[4]

## تحقق الهداية لا يعادله انتصار:

ومع أن النبي ﷺ دعا على من آذوه من قومه، إلا أنه ﷺ لم يُعادِ

---

١ - الآية ٢ من سورة العنكبوت

٢ - الآية ١٤٢ من سورة آل عمران

٣ - الآية ٢١٤ من سورة البقرة

٤ - مجموعة رسائل الإمام، ص ١٤٣، ط دار الشهاب، (بتصرف)

عموم الناس من قومه، بل لم يدعُ على عامة القوم من المشركين، ولم يطلب لهم الهلاك، ولو طلب ذلك لاستجاب الله له، فتروي أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عن رسول الله ﷺ أن جبريل عليه السلام ناداه فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، «فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ[1]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» [رواه البخاري، في الحديث ٢٩٩٢ ]

هذه العاطفة التي استبدت بقلب رسول الله ﷺ وهذا الأمل الذي راوده ﷺ هما اللذان يوقفان دعاة الحق في كل زمان ومكان بنفس هذا الموقف من قومهم ومواطنيهم ، لذلك تراهم لا يتمنون الشر والهلاك للناس، بل دائمًا يقولون لهم نحن نعمل للناس في سبيل الله أكثر مما نعمل لأنفسنا، فنحن لكم لا لغيركم، ولن نكون عليكم يومًا من الأيام [2]

**الإيذاء بالحصار:**

ويتمنى الباطل دائمًا في حرب أهل الحق، لقد أعلنت قريش على المسلمين حربًا اقتصادية بمقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب؛ لا يبيعوهم ولا يتزوجون منهم، ولا يخالطونهم، ولا يُكلِّمونهم ولا يدخلون بيوتهم، حتى يُسلِّموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوا ذلك في صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة

---

١ - الأخشبان جبلان بمكة

٢ -مجموعة رسائل الإمام، ط دار الشهاب، ص ١١ (بتصرف)

ولإحكام الحصار تحالفت قريش مع بني كنانة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْغَدِ يَوْمَ النَّحْرِ- وَهُوَ بِمِنًى - "نَحْنُ نَازِلُونَ غَدًا بِخَيْفِ[1] بَنِي كِنَانَةَ حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ" وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا وَكِنَانَةَ تَحَالَفَتْ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَوْ بَنِي الْمُطَّلِبِ أَنْ لا يُنَاكِحُوهُمْ وَلا يُبَايِعُوهُمْ حَتَّى يُسْلِمُوا إِلَيْهِمُ النَّبِيَّ ﷺ [رواه البخاري، الحديث ١٤٨٧]

## قافلة الدعوة لا تُستدرج

استمرت المقاطعة سنتين أو ثلاثًا، لاقى المسلمون خلالها عنتًا شديدًا، واضطروا إلى أكل أوراق الشجر والجلود، واستعجل بعض المسلمين الخروج من هذه المآزق، فطالبوا النبي ﷺ بالسماح لهم بقتال المشركين، بَيْدَ أن الوحي كان يرسل مطالبًا بكف اليد، والعفو والصبر وإقام الصلاة، فامتثل دعاة الحق لأوامر الحق ﷻ من فوق سبع سماوات، واقتنعوا بأن يتركوا للقيادة تحديد طبيعة كل مرحلة، وحجم كل مواجهة، وتوقيت كل تغيير، وعلى هذا يسير دعاة الحق دائمًا، لا يتجاوزون مرحلة بناء قوة العقيدة والإيمان ولا يختصرون وقتها، ولا يسمحون لفرد مهما بلغ إخلاصه وحماسه أن يستدرج قافلة الدعوة إلى مواجهة لم يحن أوانها، حتى لو كان هذا بالإلحاح على القيادة، كما ألح هؤلاء النفر من أوائل المسلمين على رسول الله ﷺ

لقد فهم المسلمون الأوائل السُّنَّةَ التي تلازم دعاة الحق دائمًا، عصروا، وهي نفسها السُّنَّةَ التي يُذَكِّرُ بها الدعاة أنفسهم على مر الزمان، فيقول قادتهم على الدوام "اسمعوها كلمة عالية مدوية، إن طريقكم هذا

---

١ - الخيف الوادي

مرسومة خطواته موضوعة حدوده، أحل قد تكون طريقًا طويلة ولكن ليس هناك غيرها، فمن أراد أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يقتطف زهرة قبل أوانها فخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات، ومن صَبَر حتى تنمو البذرة وتنضج الثمرة ويجني القطاف فأجره في ذلك على الله، ألجموا نزوات العواطف بسطوات العقول، وأنيروا أشعة العقول للهب العواطف، وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع، واكتشفوا الحقائق في أضواء الخيال الزاهية البراقة، ولا تصادموا نواميس الكون فإنها غلابة، ولكن غالبوها واستخدموها وحوِّلوا تيارها واستغيثوا بعضها على بعض، وترقبوا ساعة النصر وما هي منكم ببعيد"[1]

## مقاطعة انتهت ومساومة فشلت.

أخبر الله ﷻ نبيه ﷺ بأن الأَرَضة[2] قد أكلت جميع ما في صحيفة عهد المقاطعة من ظلم وقطيعة، ولم تترك إلا اسم الله، فأخبر النبي ﷺ عمه أبا طالب الذي أخبر القوم، فذهبوا ليطالعوها فإذا هي كما أخبر رسول الله ﷺ مُقصت الصحيفة وانتهت المقاطعة

فلما لم تُجْدِ وسائل العنف والقهر في صرف المسلمين عن دينهم، حاول المشركون مساومة المسلمين، فعرضوا على النبي ﷺ أن يعبد آلهتهم عامًا ويعبدوا ربه عامًا، فأنزل ﷻ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾[3] إلى آخر السورة

---

١ – من مجموعة رسائل الإمام، ص ١٢٧، ط المؤسسة الإسلامية (بتصرف)

٢ – الأرضة حشرة بيضاء مصفرة، تشبه النملة، تتغذى على الخشب والورق والجلد

٣ – الآيتان ١،٢ من سورة الكافرون

ثم بدءوا عُتبة بن ربيعة لمساومة أخرى، فأتى النبي ﷺ فعرض عليه المال والمُلك والسيادة، فلم يكن من رسول الله ﷺ إلا أن تلا عليه آيات من القرآن، من أول سورة فُصِّلت، فعاد عُتبة من حيث أتى

## هجرتان إلى الحبشة

ولم تجد قريش مناصًا أمام الثلة المؤمنة التي ثبتت وأظهرت صدق إيمانها، وتجرعوا في سبيل ذلك مرارة العيش وقسوة الظروف وريادة الإيذاء، إلى أن أمر الرسول ﷺ المؤمنين بالهجرة إلى الحبشة، ليس فرارًا من الإيذاء، ولكن اغتنامًا لفرصة لاحت بأمل تستقر به دعوة الإسلام في نفوس أصحابها، وفي هذا مَثَّلَ رسول الله ﷺ القيادة الواعية التي توازن بين متطلبات مصلحة الدعوة ومتطلبات تأمين أفرادها، فهاجر اثنا عشر رجلاً وأربع نسوة، ثم عادوا بعد أن سمعوا إشاعة مفادها أن قريشًا قد أسلمت، لكنهم ما لبثوا أن عرفوا كذب هذه الإشاعة فهاجروا ثانيةً إلى الحبشة ومعهم آخرون من المؤمنين، وقد بلغ عددهم في الهجرة الثانية ثلاثة وثمانين رجلاً وإحدى عشرة امرأة

وغَرَّ على المشركين أن يجد المهاجرون مأمنًا، فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة، وأرسلوا معهما الهدايا للنجاشي[1] وبطانته، وطلبوا من النجاشي أن يُسَلِّمَهم المهاجرين، ولكن النجاشي أرسل إلى المسلمين وحاورهم، وكان جعفر بن أبي طالب هو المتكلم عن المسلمين، فتحدث عما كانوا عليه قبل الإسلام من ضلال، وشرح دعوة الإسلام وما جاءت به من فضائل، وطلب من النجاشي الحِوَار[2]، ثم أسمعه آيات من سورة

---

١ - النجاشي لقب حاكم الحبشة

٢ - الحوار الحماية

مريم، فبكى النجاشي وأساقفته، ودخل الإيمان قلبه، وفرض أن يُسَلِّمَ المسلمين للرجلين، ولكن عَمْرًا عاد في اليوم التالي للنجاشي، وحاول الوقيعة بين المسلمين وبينه بأن قال له إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيمًا، فأرسل النجاشي إلى المسلمين يسألهم في ذلك، فصدقوا، ولم يداهنوا، فقال جعفر هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فوافقهم النجاشي على قولهم، وأعطاهم الأمان، ورد هدايا قريش على عمرو، فرجع عمرو كما أتى

ولما بلغ النبي ﷺ خبر وفاة النجاشي بعد ذلك، نعاه إلى المسلمين وصلى عليه صلاة الغائب، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ نَعَى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّجَاشِيَّ صَاحِبَ الْحَبَشَةِ يَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ»، وَعَنه أيضًا أنه قَالَ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَفَّ بِهِمْ بِالْمُصَلَّى فَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعًا. [رواه البخاري، الحديث ١٢٤٢]

ولم تكن الهجرة تضحية بالوطن، لكنها كانت إدراكًا أن الدين إذا فُقِدَ لم يُعْبَ من ورائه الوطن والمال والأرض، بل سرعان ما يذهب كل ذلك أيضًا من ورائه، أما إذا قَوِيَ شأن الدين، وقامت في المجتمع دعائمه، ورسخت في الأفئدة عقيدته، فإن كل ما كان قد ذهب في سبيله من مال وأرض ووطن يعود أقوى من ذي قبل، حيث يحرسه سياج من الحق والكرامة والقوة والبصيرة

## عام الحزن:

وجاء العام العاشر، العام الذي فقد فيه رسول الله ﷺ كلا من

الدائد[1] القوي عمه أبي طالب والصدر الحنون روحه السيدة خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها- التي طالما سرّت عنه همومه وسُمي عام الحزن

وقد حزن الرسول ﷺ لوفاة عمه، لأنه مات دون أن يُسْلِم، روى ابن المُسَيَّب عَنْ أَبِيه أَنَّ أَبَا طَالِب لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْه النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ "أَيْ عَمِّ، قُل لا إِلَهَ إلا اللَّهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ[2] لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ"، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بن أَبِي أُمَيَّةَ يَا أَبَا طَالِب تَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِب؟! فَلَمْ يَزَالا يُكَلِّمَانِه حَتَّى قَالَ آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِه عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِب، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ "لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ" فَأَنْزَلَتْ ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[3] وَأَنْزَلَتْ ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[4] [رواه البخاري، الحديث ٣٥٩٥ ]

## الدعوة تبحث عن ميدان جديد

لما اشتد الإيذاء على الرسول والمسلمين في مكة، ازداد التصميم الحازم في نفس الرسول ﷺ على الاستمرار في دعوته، وأراد أن يتحطى الحواجز باحثًا عن ميدان جديد للدعوة، فذهب إلى الطائف، وهي تبعد عن مكة نحو ستين ميلاً، قطعها النبي ﷺ ماشيًا على قدميه، حيثة ودهانًا، ومعه مولاه زيد بن حارثة، وكان كلما مر على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الإسلام، فلم تستجب إليه واحدة منها

وأقام رسول الله ﷺ بين أهل الطائف عشرة أيام، لا يدَع أحدًا من

---

١ - المدافع عنه، والمانع عنه الأذى

٢ - احاج المحاجة هي المجادلة، والمقصود اشفع لك بما عند الله

٣ - الآية ١١٣ من سورة التوبة

٤ - من الآية ٥٦ من سورة القصص

أشرافهم ورؤسائهم إلا جاءه وكلّمه فرفضوا جميعًا دعوته، واستهزءوا به ﷺ

## الباطل يعتمد على السفهاء:

لم يكتف أهل الطائف برفض دعوة النبي ﷺ وطرده من بلادهم، بل أغروا به سفهاءهم، فلما أراد الخروج تبعه السفهاء والعبيد يسبُّونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس فوقفوا له صفين، وجعلوا يرمونه بالحجارة، وبكلمات سفيهة، ورجموا قدميه الشريفتين بالحجارة، حتى اختضب نعلاه بالدماء، وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه شجاجٌ[1] في رأسه

وهكذا نرى أن طبيعة أهل الباطل هي هي، تراهم في كل زمان ومكان يستعملون السفهاء والجهلة والأغبياء في إيذاء دعاة الحق، وعندما يختارون لأنفسهم من الجنود أدوات إيذاء، فإنما يختارون صفًا فرغت رءوسهم من عمل عقولهم، حتى لو كان عمل عقولهم هذا هو مجرد النظر في الحال أو التفكير في المآل، لذلك فهم يساقون كالبهائم ليؤدوا أهليهم بأنفسهم، وليتهكوا مقدساتهم بأيديهم، وهؤلاء عادة لا يُكلَّفون أسيادَهم سوى ثمن طعامهم.

## قبس النور في ظلام الشدة.

مازال السفهاء يفعلون ذلك بالنبي ﷺ حتى وصل إلى بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة على بعد ثلاثة أميال من الطائف، فلما التجأ إليه رجعوا عنه، فجلس النبي ﷺ في ظل جدار ليستريح، وأخذ يناجي الله ﷻ قائلاً

---

١ - الشجاج: الجُرح والشق الكبير

"اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وقِلَّةَ حِيلَتِي، وهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ المُسْتَضْعَفِينَ، وأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي؟، إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي[1]، أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي، إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلا أُبَالِي، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا والآخِرَةِ، أَنْ يَحِلَّ عَلَيَّ غَضَبُكَ، أَوْ أَنْ يَنْزِلَ بِي سَخَطُكَ، لَكَ العُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِكَ"

فلما رآه ابنا ربيعة أشفقا عليه، فدعوا غلامًا لهما نصرانيًا، يقال له عدَّاس، وقالا له: خذ قطفًا من العنب، واذهب به إلى هذا الرجل، فلما وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، مد يده إليه قائلاً "بِسْمِ اللهِ"، ثم أكل، فقال عداس: إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ "مِنْ أَيِّ البِلادِ أَنْتَ؟ وَمَا دِينُكَ؟" قال: أنا نصراني من أهل نينوى، فقال رسول الله ﷺ "مِنْ قَرْيَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى؟" قال له: وما يدريك ما يونس بن متى؟ قال رسول الله ﷺ "ذَاكَ أَخِي، كَانَ نَبِيًّا وَأَنَا نَبِيٌّ"، فأكب عداس على رأس رسول الله ﷺ ويديه ورجليه يقبلها، وأسلم على يد النبي ﷺ[2]

وفي إسلام عداس ما فيه من معاني التثبيت والمواساة وبث الأمل، وهذه سُنَّة باقية في تاريخ الدعوات، ما من محنة إلا ومعها منحة، إن دعاة

---

[1] - أي يستقبلني بوجه كريه

[2] - يقول الشيخ الألباني في تعليقه على هذه القصة، بحواشي فقه السيرة، للشيخ محمد الغزالي، ص ١٤٧: أخرج هذه القصة ابن إسحاق بسند صحيح، عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً، أما الدعاء فقد ذكره بدون سند، ورواه ابن جرير من طريق ابن إسحاق، وروى القصة بالدعاء الطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن جعفر، وقال الهيثمي: وفيه ابن إسحاق، وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات، فالحديث ضعيف.

الحق الذين يدركون هذه السُّنَّة يفتشون دائمًا عن المنحة في كل محنة، وينتظرون دائمًا اليسر مع كل عُسر، فإن فعلوا ذلك حصَّلوا مكاسب من أحوالهم العصيبة، وعلى الجانب الآخر فإن أعداء الحق - دائمًا وأبدًا - خاسرون، وهم يتنسون في عكس ما يرعون، لكنهم لا يعلمون، فحين يُبرلون محنة بدعاة الحق، فإنهم يُبرلونها وهم غافلون عن أنَّ عملهم يُصقِل مَن في الصف، كما يرفع درجة جودة الصف وصلابته، إذ يجنب الضعفاء والمترددين والمعيبين، فلا يتقدم إلا الأقوياء المخلصون، فتزيد نسبة الذين يحملون الدعوة ويُعْلونها على نسبة الذين تحملهم الدعوة فيُثْقلونها، وهذا سر من أسرار طاهرة انطلاق دعوة الحق وتخليقها بعد كل محنة أو اضطهاد

وعند رجوع النبي ﷺ إلى مكة بعث إلى أناس من رؤسائها ليجيروه فأبوا إلا مُطْعِم بن عدي، فقد أجار النبي ﷺ، وأدخله مكة في حمايته رجاله، وقد خطب رسول الله ﷺ للمُطعم هذا الصنيع، فقَالَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ «لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْن عَدِيٍّ حَيًّا ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلاءِ النَّتْنَى[1] لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ» [رواه البخاري، الحديث ٦ ٢٩]

## نور العزة يسطع:

وتضرع الرسول ﷺ إلى ربه ﷻ أن يُعز الإسلام، فعَنِ ابن عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ، بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْن الْخَطَّابِ» قَالَ وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ [رواه الترمذي، الحديث ٣٦١٤، وقال حسنٌ صحيحٌ غريبٌ]

وأسلم حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب - رضي الله عنهما

---

١ - النتن هو خبيث الرائحة

- وكان لإسلامهما أثر كبير في رفع معنويات المسلمين، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُذْ أَسْلَمَ عُمَرُ. [رواه البخاري، الحديث ٣٥٧٤].

وسمَّى النبي ﷺ عمر بالفاروق؛ دلك لأن المسلمين بعد إسلامه خرجوا في صفين حمزة على أحدهما وعمر على الآخر، فدخلوا المسجد الحرام تحت سمع وبصر قريش، وما كان المسلمون ليجرءوا على دلك قبل إسلامه، مما كان له أكبر الأثر في عزة المسلمين[1]

*****

١ - صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم

## الرحلة الفريدة (الإسراء والمعراج)

وأراد الله ﷻ أن يسرِّي عن النبي ﷺ، ويمسح عنه أحزانه، فكانت رحلة الإسراء والمعراج، في السنة العاشرة من البعثة، تمت الرحلة في ليلة واحدة روحًا وجسدًا

### التحلية بالشق الثاني للصدر

بدأت وقائع هذه الرحلة الفريدة بإعداد خاص، إذْ قام جبريل عليه السلام بشق صدر الرسول ﷺ للمرة الثانية، وبينما كان الشق الأول في ديار بني بكر لإزالة حظ الشيطان فهو تحلية، فإن الشق الثاني كما جاء في الحديث لزيادة الإيمان والحكمة فهو تحلية، قَالَ رَسُولَ اللَّه ﷺ «فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ [1] فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ» [رواه البخاري، من الحديث ٣٣٦].

### الإسراء رحلة طَوَت الأرض

الإسراء هو رحلة الرسول ﷺ بالليل، وقد كان الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وبذلك لرتبط المسجد الحرام بمكة بالمسجد الأقصى بيت المقدس في فلسطين، وفي ذلك قال رسول الله ﷺ. «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ قَالَ فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ قَالَ فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ قَالَ ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عليه السلام بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ

---

١ – هكذا في البخاري ومسلم

جبريلُ ﷺ [1] اخْتَرْتَ الفِطْرَةَ ثُمَّ عَرَجَ بنَا إِلَى السَّمَاءِ " [رواه مسلم، من الحديث ٢٣٤]

## المعراج صعود طَرَقَ السماوات

يقول المصطفى ﷺ . " ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَلَمَّا جِئْتُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ افْتَحْ، قَالَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ هَذَا جِبْرِيلُ، قَالَ هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ نَعَمْ مَعِي مُحَمَّدٌ ﷺ ، فَقَالَ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ نَعَمْ " [رواه البخاري، من الحديث ٣٣٦]

## إمَّا الجنة وإمَّا النار

وفي السماء الدنيا قابل محمد ﷺ أبانا آدم عليه السلام وعرف أن مصير البشر إمَّا إلى الجنة وإمَّا إلى النار، قال رسول الله ﷺ " فَلَمَّا فَتَحَ عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَلَى يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ [2] وَعَلَى يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ، إِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَسَارِهِ بَكَى فَقَالَ. مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالابْنِ الصَّالِحِ، قُلْتُ لِجِبْرِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ هَذَا آدَمُ، وَهَذِهِ الأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ [3] بَنِيهِ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَالأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى " [رواه البخاري، من الحديث ٣٣٦]

## منازل الأنبياء والمرسلين .

والتقى المصطفى ﷺ بالأنبياء والمرسلين خلال معراجه في السماوات

---

١ – هكذا وردت في نص الحديث

٢ – الاسودة جماعة من الأشخاص من كل لون وجنس

٣ – النسمة الروح أو النفس

العلا، قال رسول الله ﷺ « فَرَحَّبَ[1] بي وَدَعَا لي بخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بنا إلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ، قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بابني الخَالَةِ عِيسَى ابن مَرْيَمَ وَيَحْيَى بن زَكَرِيَّا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لي بخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَّبَ وَدَعَا لي بخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بنا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام قِيلَ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ، قَالَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لي بخَيْرٍ، قَالَ اللَّهُ ﷻ ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾، ثُمَّ عَرَجَ بنا إِلَى السَّمَاءِ الخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ، قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ﷺ فَرَحَّبَ وَدَعَا لي بخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بنا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام قِيلَ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ، قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ﷺ ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لي بخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ ، قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لا يَعُودُونَ إِلَيْهِ » [رواه مسلم، في الحديث ٢٣٤]

---

١ - يعني آدم عليه السلام

وأطلع الله ﷻ نبيه ﷺ في هذه الرحلة على كثير من المشاهدات، فرأى الجنة وما فيها، ورأى النار ومَن فيها من آكلة أموال اليتامى، وآكلة الربا، والزناة، وعن أنس بن مالك قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي ﷻ مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ مَنْ هَؤُلاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ" [رواه أحمد، الحديث ١٢٨٦١]

وغيرها الكثير من المشاهدات التي لا يتسع المقام لذكرها

## الوصول إلى سدرة المنتهى.

وبعد ذلك ارتفع المصطفى ﷺ إلى مكان يُسْمَعُ فيه صريف الأقلام[1]، وهو وصف يوحي بالسكون التام الذي يتيح فقط لصوت الأقلام التي تثبت ما كان وما يكون أن يُسْمَعَ، قال ﷺ "... ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلامِ ..." [رواه البخاري، من الحديث ٣٣٦]

ثم كان الوصول، قال رسول الله ﷺ "... ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى انْتَهَى بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لا أَدْرِي مَا هِيَ ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا حَبَايِلُ[2] اللُّؤْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ ..." [رواه البخاري، من الحديث ٣٣٦]

ويحاول المصطفى ﷺ أن يصف لأمته ما رأى عند سدرة المنتهى فيقول ﷺ "... وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلالِ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى ..." [رواه مسلم، من الحديث ٢٣٤]

---

١ - الصريف صوت كتابة الأقلام

٢ - حبايل عقود وقلائد

## هدية من الرحمن ﷻ عند سدرة المنتهى:

وهنا - عند سدرة المنتهى - تلقى المصطفى ﷺ من ربنا ﷻ هديته ﷻ إلى أمته، وهي هدية تتيح لنا أن نتخلص من الشوائب والذنوب والمعاصي في كل يوم خمس مرات، هدية يريحنا الله ﷻ بها فيتنزل حالنا بأدائنا لها إلى أحسن حال، هدية تطهرنا أولاً بأول، وتيسر لنا العيش في مراقبة الله ﷻ ومعيته ﷻ كما تباعد بيننا وبين الشيطان، إنها الصلاة، قال رسول الله ﷺ « فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ..»

[رواه مسلم، من الحديث ٢٣٤]

## تخفيف وكرم:

وأراد الله ﷻ أن يكرم أمتنا ويخفف عنها، وشاء ﷻ أن يعلمنا في نفس الوقت أنه ﷻ لا يُبَدِّل القول لديه، فقدَّر ﷺ أن ينصح موسى عليه السلام نبينا محمدًا ﷺ بالرجوع إلى ربه ﷻ عسى أن يخفف عن أمتنا، يقول الرسول ﷺ « فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى عليه السلام فَقَالَ مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ خَمْسِينَ صَلاةً، قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ، قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ لا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، قَالَ فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَبَيْنَ مُوسَى عليه السلام حَتَّى قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلاةً...» [رواه مسلم، من الحديث ٢٣٤]

## عشرة أضعاف فصل فوق الكَرَم

وكان هناك فضل فوق هذا الكرم، فصل يمحو به المسلم وإن كانت حسناته فقط عُشْر أعماله، فميزان حسناته يرجح بما همَّ به من عمل صالح وإن لم يعمله، لقد أضاف رسول الله ﷺ فيما رواه عن ربه ﷻ أنه ﷻ أعطانا فوق ثواب الخمسين صلاة عشرة أضعاف ثواب كل حسنة نعملها فقال « وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً » [رواه مسلم، من الحديث ٢٣٤]

استحيا محمد ﷺ من هذا الكرم، واستوعب ﷺ معنى أن الله ﷻ لا يُبَدِّل القولُ لديه من بقاء ثواب الخمسين صلاة وإن أُدِّيَت خمسًا، قال ﷺ يروي عن ربه ﷻ: « فَقَالَ هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ لا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ رَاجِعْ رَبَّكَ فَقُلْتُ اسْتَحْيَيْت مِنْ رَبِّي » [رواه البخاري، من الحديث ٣٣٦]

## تكذيب المكذبين وتصديق الصدِّيقين

لما أصبح رسول الله ﷺ أخبر قومه بالخبر فاشتد تكذيبهم له وسألوه – إن كان صادقًا – أن يصف لهم بيت المقدس، فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «لَمَّا كَذَّبَنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الحِجْرِ، فَجَلَا اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ[1] أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ[2] وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ» [رواه البخاري، الحديث ٣٥٩٧]

---

١ – أي شرعت

٢ – علاماته

وذهب بعضهم إلى أبي بكر الصديق ﷺ يخبره بالخبر، طمعًا في أن يُكذّب صاحبه، فقال لهم ﷺ إن كان قال ذلك فقد صدق، إني أصدقه في أبعد من ذلك، لذا سُمِّي ﷺ بالصدِّيق

*****

## الدعوة في طور جديد

عالجت رحلة الإسراء والمعراج الفريدة آثار عام الحزن، وانطلق الرسول ﷺ يحمل دعوة الإسلام في طور جديد، تميز هذا الطور بتحقيق المنعة[1] لدعوة الإسلام، وتفعيل نظام الدعوة التربوي، وتوقيف أصحاب الدعوة على أدوارهم الفردية والجماعية

### البحث عن المنعة

بدأ الرسول ﷺ يعرض نفسه على القبائل والحجاج في موسم الحج، وكان ﷺ واضحًا صريحًا في طلب المنعة، ليتمكن من تبليغ الدعوة، فعَنْ جَابِرٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ بِالْمَوْقِفِ[2]، فَقَالَ «أَلا رَجُلٌ يَحْمِلنِي إِلَى قَوْمِهِ فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلامَ رَبِّي» [رواه الترمذي، الحديث ٢٨٤٩ وقال هذا حديثٌ غريبٌ صحيحٌ ]

ويصيف جابر رضي الله عنه فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ هَمْدَانَ، فَقَالَ «مِمَّنْ أَنْتَ؟» فَقَالَ الرَّجُلُ مِنْ هَمْدَانَ، قَالَ «فَهَلْ عِنْدَ قَوْمِكَ مِنْ مَنَعَةٍ؟» قَالَ نَعَمْ، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ خَشِيَ أَنْ يَحْقِرَهُ قَوْمُهُ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ آتِيهِمْ فَأُخْبِرُهُمْ ثُمَّ آتِيكَ مِنْ عَامٍ قَابِلٍ، قَالَ «نَعَمْ»، فَانْطَلَقَ وَجَاءَ وَفْدُ الأَنْصَارِ فِي رَجَبٍ [رواه احمد، من الحديث ١٤٦٥٩]

### رواد ستة

قابل ﷺ وفد الأنصار، قيل إنهم كانوا سبعة من الأوس والخزرج[3]،

---

١ – المنعة حالة تستعصي بها الدعوة على كيد أعدائها فتبقى وتنتشر

٢ – الموقف الموسم الذي كان الناس يحجون فيه إلى الحرم المكي

٣ – الأوس والخزرج أكبر قبيلتين في المدينة

وقيل إنهم كانوا ستة، أمَّا الستة فهم[1] أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك - ويقال له عامر بن الأزرق - وعقبة بن عامر، وجابر بن عبد الله، وقطبة بن عامر، دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام فأسلموا، وعادوا إلى المدينة يذكرون ما وجدوا من أمر محمد ﷺ ، وهذا التحرك ظهروا بعدد مماثل قبل حلول الموسم التالي، وهكذا دائمًا هي الدعوة الفردية، إنها تستطيع أن تضاعف عدد أنصار الحق في زمن وجيز

## بيعة[2] العقبة الأولى [الصغرى] - بيعة التزام شخصي:

وفي موسم الحج من السنة الثانية عشرة بعد البعثة، اجتمع ﷺ مع اثني عشر رجلاً نقيبًا[3] من الأنصار فيهم عبادة بن الصامت ﷺ فبايعوه ﷺ وأرسل معهم مصعب بن عمير ﷺ ليعلمهم الدين وأحكام الإسلام.

كانت هذه البيعة بيعة على أمور محددة تتعلق بالمسئولية التنحصية، والالتزام الفردي، قَالَ عُبَادَةُ بن الصَّامت ﷺ-وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ لَيْلَةَ العَقَبَة- إِنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ[4] مِنْ أَصْحَابِه "تَبَايِعُونِي عَلَى أَنْ لا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلا تَسْرِقُوا وَلا تَزْنُوا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ وَلا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ[5] بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ وَلا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ، فَهُوَ إِلَى اللَّهِ

---

١ - راجع من فقه الهجرة، الشيخ محمد عبد الله الخطيب، دار المنار الحديثة ص ٦٢

٢ - البيعة العهد على السمع والطاعة

٣ - النقيب كبير القوم المعني بشئونهم

٤ - العصابة الجماعة من الناس

٥ - البهتان أبطع الكذب، والمفتريه الكذب

إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ" فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ [رواه البخاري، الحديث ١١]

ومع بيعة العقبة الأولى، صارت سُنَّةُ دعوة الإسلام أن تَعْبُرَ إلى المتممين إليها من خلال القدوة التي تتمثل في هؤلاء الذين يعبرون بقسط من التربية الأساسية بحواسها الإيمانية والاجتماعية والأخلاقية والتشريعية.

## بيعة العقبة الثانية [الكبرى] – بيعة الترام جماعي:

وفي العام التالي – الثالث عشر من البعثة – نضجت ثمرة عمل النقباء وعنايتهم بقومهم، فقد حضر سبعون رجلاً وامرأتان، فكأن كل نقيب اعتنى بخمسة ثم جاء بهم، حضروا جميعًا مستخفين فبايعوه ﷺ على النصرة والمنعة قبل أن يعودوا إلى المدينة، فعَنْ عَامِرٍ قَالَ: انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَعَهُ العَبَّاسُ عَمُّهُ إِلَى السَّبْعِينَ مِنَ الأَنْصَارِ عِنْدَ العَقَبَةِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَقَالَ لِيَتَكَلَّمْ مُتَكَلِّمُكُمْ وَلا يُطِيلُ الخُطْبَةَ فَإِنَّ عَلَيْكُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ عَيْنًا وَإِنْ يَعْلَمُوا بِكُمْ يَفْضَحُوكُمْ فَقَالَ قَائِلُهُمْ وَهُوَ أَبُو أُمَامَةَ سَلْ يَا مُحَمَّدُ لِرَبِّكَ مَا شِئْتَ، ثُمَّ سَلْ لِنَفْسِكَ وَلأَصْحَابِكَ مَا شِئْتَ، ثُمَّ أَخْبِرْنَا مَا لَنَا مِنَ الثَّوَابِ عَلَى اللَّهِ ﷻ وَعَلَيْكُمْ إِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ؟ قَالَ فَقَالَ "أَسْأَلُكُمْ لِرَبِّي ﷻ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَسْأَلُكُمْ لِنَفْسِي وَلأَصْحَابِي أَنْ تُؤْوُونَا وَتَنْصُرُونَا وَتَمْنَعُونَا مِمَّا مَنَعْتُمْ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ" قَالُوا فَمَا لَنَا إِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ؟ قَالَ "لَكُمُ الجَنَّةُ"، قَالُوا فَلَكَ ذَلِكَ [رواه أحمد، من الحديث ١٦٤٦١]

وبيعة العقبة الكبرى، انتقل الأنصار من المسئولية الشخصية إلى المسئولية الجماعية، وارتقى حالهم من رُتْبَةِ الدين تحملهم الدعوة إلى رُتْبَةِ الدين يحملون الدعوة، ويبذلون في سبيل نصرتها وحمايتها، وتحولت سواد

الدعوة إلى نواة دولة

وسياق الرسول ﷺ أن الجنة هي الجزاء الوحيد على ذلك والعائد الوحيد لهذا البذل، تعلّمَ دعاة الحق في كل زمان ومكان أن الدعوة يجب أن تبقى بريئة سريية، تتسامى في سراهتها حتى تتحاور المطامع الشخصية، وتُخلّف وراءها الأهواء والأعراض[1]

لذلك يقول دعاة الحق لكل نفعي[2] ليس عندنا من جزاء إلا ثواب الله إن أخلصت، والجنة إن علم الله جلّ جلاله فيك خيرًا، أما نحن فمعمورون جاهًا، فقراء مالاً، نتأسا التضحية بما معنا وبذل ما في أيدينا، ورجاؤنا رضوان الله وهو نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصير[3]

*****

---

١ – مجموعة رسائل الإمام، ط دار الشهاب، ص ١١ (بتصرف)

٢ – النفعي الذي لا يبذل إلا مقابل فائدة أو مغنم

٣ – مجموعة رسائل الإمام، ط دار الشهاب، ص ١٣ (بتصرف)

# ٣- الهجرة ومرحلة التأسيس

من المعالم الأساسية في تاريخ دعوة الإسلام الهجرة، ومنها يتعلم الدعاة دروسًا عظيمة في كيفية سير الدعوة وتطورها

## قيادة تحدد الخطوات وتأحد القرارات:

تقدم أن رسول الله ﷺ استقى أصحابه ﷺ في مكة مهد الدعوة حيًا، بالرغم مما لاقوه من اضطهاد وأذى، ثم أذن ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة لَمَّا تزايدت ضغوط أعداء الدعوة على أفراد صفها، فمن الصحابة ﷺ من هاجر خُفْيَة إلى الحبشة أو إلى اليمن أو إلى المدينة، ومنهم من أبى أن يهاجر إلا جَهْرَة مثل عمر بن الخطاب ﷺ .

وهكذا دائمًا تكون القيادة، حريصة على سلامة الدعوة، حريصة على تأمين الدعاة، لكنها توازن بين المصلحتين، وهي التي تحدد ماذا يتم ومتى يكون، فطريق هذه الدعوة "مرسومة خطواته موضوعة حدوده، أجل قد تكون طريقًا طويلة، ولكن ليس هناك غيرها، فمن أراد أن يستعجل ثمرة قبل نضجها، أو يقتطف زهرة قبل أوانها، فحير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات، ومن صبر حتى تنمو البذرة وتنبت الشجرة وتصلح الثمرة ويجين القطاف، فأجره في ذلك على الله، ولن يفوته أجر المحسنين إما النصر والسيادة، وإما الشهادة والسعادة"[١]

---

١ - مجموعة رسائل الإمام، (بتصرف)

## انتظار الإذن بالهجرة

وبالرغم من أن رسول الله ﷺ أُذِنَ لأصحابه بالهجرة إلا أنه لم يكن لِيُقْدِمَ هو نفسه على الهجرة قبل أن يأذن له الله ﷻ بذلك، فمع أن رسول الله ﷺ كان يمثل القيادة العامة للدعوة، إلا أنه ﷺ كان يعلم أن لدعوة الإسلام ربًّا عَلِيًّا فوق سبع سماوات، هو الذي يوحي بما يُسمح به للصف، وبما تُكَلَّف به القيادات، وهكذا تكون دعوة الإسلام في كل عصر ومكان، يقيض الله ﷻ لها قيادة واعية راشدة، ترتسم خُطا الوحي، وتهتدي بنور السُّنة

كان ﷺ يشعر أنه سيُؤْذَنُ له، ورأى في منامه ما يشير إلى ذلك، قَالَ ﷺ: «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي[1] إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ.» [رواه البخاري في الحديث ٣٣٥٢]

ولَمَّا اشتد الابتلاء بالمؤمنين تحفَّز أبو بكر الصديق ﷺ للهجرة إلى المدينة، إلا أن رسول الله ﷺ استبقاه، تروي أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - فتقول: وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قِبَلَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «عَلَى رِسْلِكَ[2] فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ، قَالَ: «نَعَمْ»، فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ. [رواه البخاري، في الحديث ٣٦١٦].

---

١ - وهلي وهمي

٢ - على رسلك تأنَّ وتمهل

## وحاء الإذن بالهجرة:

وتصف عَائشَةُ - رضى الله عنها - مجيء الإذن بالهجرة فتقول لَقَلَّ يَوْمٌ كَانَ يَأْتِي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إلا يَأْتِي فيه بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ أَحَدَ طَرَفَيِ النَّهَارِ، فَلَمَّا أُذِنَ لَهُ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ لَمْ يَرُعْنَا إلا وَقَدْ أَتَانَا ظُهْرًا، فَحُسَّ به أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ. مَا جَاءَنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إلا لأَمْرٍ حَدَثَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لأَبِي بَكْرٍ "أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ"، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا هُما ابْنَتَايَ - يَعْنِي عَائِشَةَ وَأَسْمَاء - قَالَ "**أَشَعَرْتَ أَنَّهُ قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ**" [رواه البخاري، ١٩٩٤]

ولعل في قول الرسول ﷺ استئمان المرأتين على سره ﷺ إشارة إلى ما على المرأة عمومًا من واجبات في هذه الدعوة

## الجندي يبذل والقيادة تعف.

وعلى الفور يظهر استعداد الجندي ورباطه الدائم وبذله، تروي أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ما حدث بعد ذلك فتقول قَالَ أَبُو بَكْرٍ. الصُّحْبَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ "**الصُّحْبَةَ**"، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عِنْدِي نَاقَتَيْنِ أَعْدَدْتُهُمَا لِلْخُرُوجِ، فَخُذْ إِحْدَاهُمَا، قَالَ "**قَدْ أَخَذْتُهَا بِالثَّمَنِ**" [رواه البخاري، في الحديث ١٩٩٤]

## المرأة تحفظ سر الدعوة.

قَالَتْ عَائِشَةُ فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الْجِهَازِ[1] وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً[2] فِي جِرَابٍ فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا[3] فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ

---

١ - أحث الجهاز المراد انهما أسرعنا في تجهيزهما

٢ - السفرة طعام المسافر

٣ - النطاق ما تشد به المرأة على وسطها

الحِرَابِ فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ [رواه البخاري، من الحديث ٣٦١٦]

وفي موقف عائشة وأسماء ما يُثبت استفادة الدعوة من النساء، فهن الأكثر عاطفة، والأرق قلوبًا، ولأن المرأة هي مشئة الأجيال، وحب عليها العناية بها وتشريبها دعوة الإسلام، ولذا نجد دعاة الحق يقولون "ونحن نعني بالمرأة عنايتنا بالرجل، ونعني بالطفولة عنايتنا بالشباب، وهذا هو تكويننا الأسري"[1]

## الأخذ بالأسباب من شروط التوكل

أخذ رسول الله ﷺ بالأسباب، واجتهد في أن يُعدَّ لكل أمر عُدَّتَه، مع علمه ﷺ أن الله ﷻ يرعى رحلته، قالت عَائِشَةُ وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلاً [2] مِنْ بَنِي الدِّيلِ هَادِيًا خِرِّيتًا[3]، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلاثِ لَيَالٍ بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلاثٍ [رواه البخاري، الحديث ٤ ٢١]

## خسارة الثباب تُفشل المؤامرة

وشعرت قريش بتزايد دلالات هجرة الصحابة ﷺ، وتوقعت خروج النبي ﷺ فحبكت المؤامرة، فعَنِ ابن عَبَّاسٍ قَالَ تَشَاوَرَتْ قُرَيْشٌ لَيْلَةً بِمَكَّةَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِذَا أَصْبَحَ فَأَثْبِتُوهُ[4] بِالْوَثَاقِ - يُرِيدُونَ النَّبِيَّ ﷺ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلِ اقْتُلُوهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ أَخْرِجُوهُ، فَأَطْلَعَ اللَّهُ ﷻ نَبِيَّهُ ﷺ عَلَى ذَلِكَ، فَبَاتَ عَلِيٌّ عَلَى فِرَاشِ النَّبِيِّ ﷺ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَخَرَجَ النَّبِيُّ

---

١ - مجموعة رسائل الإمام، ط دار الشهاب، ص ٨٣

٢ - هو عبد الله بن أريقط الديلمي

٣ - خريتًا دليلاً مرشدًا ماهرًا بالهداية

٤ - أثبتوه قيدوه واحبسوه

ﷺ حَتَّى لَحِقَ بِالغَارِ[1]، وَبَاتَ المُشْرِكُونَ يَحْرُسُونَ عَلِيًّا يَحْسَبُونَهُ النَّبِيَّ ﷺ فَلَمَّا أَصْبَحُوا ثَارُوا إِلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَوْا عَلِيًّا رَدَّ اللَّهُ مَكْرَهُمْ فَقَالُوا: أَيْنَ صَاحِبُكَ هَذَا ؟ قَالَ لا أَدْرِي [رواه أحمد، من الحديث ٨١٣]

ويصدق قول الله ﷻ ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[2]

## كُمُون قبل الانطلاق:

وكان من دقة تخطيط الرسول ﷺ وتوفيق من الله أن بقي في الغار ثلاثة أيام، هذه الفترة أتاحت لركب الهجرة خداع قريش وقطع أملهم، كما أتاحت الفرصة للحصول على آخر أخبار تدبير قريش، وفي هذا ما فيه من توفير إمكانية تعديل الخطة والمسار بصورة تيسر نجاح الهجرة، قَالَتْ أُم المؤمنين عائشة لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ فَكَمَنَا فِيهِ ثَلاثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ[3] فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ فَلا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ[4] بِهِ إِلا وَعَاهُ حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلامُ [رواه البخاري، من الحديث ٣٦١٥]

وكما شارك عبد الله بن أبي بكر في تأمين المسيرة بالمعلومات والاتصالات، شارك عامر بن فهيرة بتأمين الغذاء والإمدادات، تصيف السيدة عائشة – رضي الله عنها – قائلة. وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ

---

١ – غار ثور

٢ – الآية ٣٠ من سورة الأنفال.

٣ – أي قبل الفجر

٤ – يكتادان الأمر يدبر للإضرار بالنبي ﷺ وصاحبه

مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً[1] مِنْ غَنَمٍ فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ[2] وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا[3] حَتَّى يَنْعِقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ[4] يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ.

[رواه البخاري، من الحديث ٣٦١٦]

الله ثالثهما.

أما قريش فقد حن حولها حينما تأكد لديها إفلات رسول الله ﷺ، وما كانت لتترك هذا الانطلاق الطاهر والخروج الكبير يمضي دون أن تبذل آخر ما في وسعها للقضاء على قيادة الدعوة الإسلامية في شخص النبي ﷺ، لقد أرسلت قريش تُطَمِّع من يعثر على الرسول ﷺ وصاحبه أو يقتله أو يأسره مبلغ ضخم من المال يغرى الطامعين، فخرج الطامعون في الحائرة ليقتفوا أثر رسول الله ﷺ وصاحبه، ووصلوا إلى باب الغار، يقول أبو بكر ﷺ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ فَرَأَيْتُ آثَارَ الْمُشْرِكِينَ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَآنَا، قَالَ «مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا» [رواه البخاري، الحديث ٤٢٩٥]

وكانت معجزة أكرم بها الله ﷻ نبيه ﷺ، فقد أعمى أعين المطاردين عن النبي الكريم وصاحبه، فعادوا خائبين

---

١ – المنحة الناقة الحلوب

٢ – الرِّسل اللبن الطري.

٣ – رضيفهما اللبن المرضوف هو الذي وضعت فيه الحجارة المحماة بالشمس او النار ليعقد ويتحول رخاوته

٤ – ينعق بغلس يغادر في ظلمة آخر الليل، والنعيق صوت الراعي اذا زجر الغنم.

**الانطلاق الظافر.**

وجاء صبح الليلة الثالثة، ووفّى الدليل بموعده، وجاء موعد الانطلاق من غار ثور، بعد أن هدأت قريش وتوقفت دوريات البحث والتفتيش، ففي الحديث وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَالدَّلِيلُ فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ [رواه البخاري، من الحديث ٣٦١٦]

**لا تحزن إن الله معنا.**

وانتدب سراقة بن مالك بنفسه لأخذ الجائزة، فأدركهما بعد أن قطعا الخطوات الأولى في الرحلة المباركة

ويروي أبو بكر الصديق قصة هذه اللحظات الحاسمة في تاريخ دعوة الإسلام، ويصف تلك الخطوات الأولى في طريق الهجرة المباركة فيقول أَسْرَيْنَا[1] لَيْلَتَنَا وَمِنَ الْغَدِ حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ وَخَلَا الطَّرِيقُ لَا يَمُرُّ فِيهِ أَحَدٌ، فَرُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ طَوِيلَةٌ لَهَا ظِلٌّ لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، فَنَزَلْنَا عِنْدَهُ وَسَوَّيْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَكَانًا بِيَدِي يَنَامُ عَلَيْهِ وَبَسَطْتُ فِيهِ فَرْوَةً، وَقُلْتُ نَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أَنْفُضُ لَكَ مَا حَوْلَكَ، فَنَامَ وَخَرَجْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلَهُ، فَإِذَا أَنَا بِرَاعِ مُقْبِلٍ بِغَنَمِهِ إِلَى الصَّخْرَةِ يُرِيدُ مِنْهَا مِثْلَ الَّذِي أَرَدْنَا فَقُلْتُ لَهُ لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ؟ فَقَالَ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ، قُلْتُ أَفِي غَنَمِكَ لَبَنٌ؟ قَالَ نَعَمْ، قُلْتُ أَفَتَحْلُبُ؟ قَالَ نَعَمْ، فَأَخَذَ شَاةً فَقُلْتُ انْفُضِ الضَّرْعَ مِنَ التُّرَابِ وَالشَّعَرِ وَالْقَذَى[2]، فَحَلَبَ فِي قَعْبٍ[3]

---

١ - السُّرى السير بالليل

٢ - القذى الوسخ ونحوه

٣ - قعب إناء من خشب مقعر

كُثَيَّةٌ[1] مِنْ لَبَنٍ وَمَعِي إِدَاوَةٌ[2] حَمَلْتُهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ يَرْتَوِي مِنْهَا يَشْرَبُ وَيَتَوَضَّأُ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُ فَوَافَقْتُهُ حِينَ اسْتَيْقَظَ، فَصَبَبْتُ مِنَ الْمَاءِ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ فَقُلْتُ اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ، ثُمَّ قَالَ "أَلَمْ يَأْنِ لِلرَّحِيلِ"، قُلْتُ بَلَى، قَالَ فَارْتَحَلْنَا بَعْدَمَا مَالَتِ الشَّمْسُ، وَاتَّبَعَنَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ فَقُلْتُ أُتِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ "لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا" فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَارْتَطَمَتْ بِهِ فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا [رواه البخاري، في الحديث ٣٣٤٦]

## وفشلت المطاردة:

وتكتمل الصورة عندما نطالع رواية سراقة لقصة فشله في مطاردة النبي ﷺ وأبي بكر، وما صاحب ذلك من أحداث جعلته يؤمن بانتصار دعوة الحق في المستقبل، بل جعلته يحوِّل دوره من طالب لهلاك دعاة الحق إلى متستر عليهم، قال سراقة: أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي فَحَرَرْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ فَاسْتَقْسَمْتُ[3] بِهَا أَضُرُّهُمْ أَمْ لَا، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ فَرَكِبْتُ فَرَسِي - وَعَصَيْتُ الْأَزْلَامَ - تُقَرِّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الِالْتِفَاتَ، سَاخَتْ[4] يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ فَحَرَرْتُ عَنْهَا ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا

---

١ - كثيه مقدار قليل

٢ - اداوة إناء من الجلد

٣ - الاستقسام بالأزلام عمل قُرعه باقداح معينة كانت تستعمل في الجاهلية

٤ - ساخت غاصت

عُثَانٌ[1] سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالأَزْلاَمِ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالأَمَانِ فَوَقَفُوا [رواه البخاري، من الحديث ٣٦١٦]

لقد أدرك سراقة أنه أمام نبي حق، وتوقع أن ما حدث له ولفرسه هو استجابة من الله لدعوة النبي وصاحبه، لذلك نادر بطلب النجاة منهما بدعوة أخرى يرفعانها، وتعهد أن يصرف القوم عن تتبعهما، قال أبو بكر فَقَالَ إِنِّي أُرَاكُمَا قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ فَادْعُوَا لِي، فَاللَّهُ لَكُمَا أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ، فَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَنَجَا فَجَعَلَ لا يَلقَى أَحَدًا إلا قَالَ. قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هُنَا، فَلا يَلقَى أَحَدًا إلا رَدَّهُ، قَالَ. وَوَفَى لَنَا [رواه البخاري، في الحديث ٣٣٤٦]

ويعبر سراقة عن شعوره بصدق نبوة محمد ﷺ فيقول . فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الْحَبْسِ عَنْهُمْ أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ[2]، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ فَلَمْ يَرْزَآنِي[3] وَلَمْ يَسْأَلانِي إِلا أَنْ قَالَ. «أَخْفِ عَنَّا» فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ ابن فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ[4] ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [رواه البخاري، في الحديث ٣٦١٦]

---

١ – عُثان دخان بدون نار

٢ – الدية مقدار من المال يدفع تعويضًا عن المقتول

٣ – لم يرزآني لم يأخذوا مني شيئا

٤ – الأديم الجلد المدبوغ

## الوصول إلى المدينة المنورة:

وسار ركب الهجرة المباركة في طريقه إلى المدينة المنورة، وقُبيل وصوله قابل الركب قافلة من التجار المسلمين فيهم عبد الله بن الزبير، فكسا عبد الله ابن الزبير الرسول ﷺ وصاحبه ثيابًا بيضًا، وهي التي دخل بها المدينة، روى ابن شهاب قال: أخبرني عُرْوَةُ بن الزُّبَيْر أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ لَقِيَ الزُّبَيْرَ فِي رَكْبٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا تِجَارًا قَافِلِينَ[1] مِنَ الشَّأْمِ، فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ اللَّه ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بَيَاضٍ، وَسَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّه ﷺ مِنْ مَكَّةَ فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ[2] فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ، فَانْقَلَبُوا[3] يَوْمًا بَعْدَ مَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ، فَلَمَّا أَوَوْا إِلَى بُيُوتِهِمْ أَوْفَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى أُطُمٍ[4] مِنْ آطَامِهِمْ لأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللَّه ﷺ وَأَصْحَابِهِ مُبَيَّضِينَ، يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ[5] فَلَمْ يَمْلِكِ الْيَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا مَعَاشِرَ الْعَرَبِ هَذَا جَدُّكُمُ[6] الَّذِي تَنْتَظِرُونَ، فَثَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى السِّلاحِ فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّه ﷺ بِظَهْرِ الْحَرَّةِ، فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ وَذَلِكَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّه ﷺ صَامِتًا، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الأَنْصَارِ مِمَّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللَّه ﷺ يُحَيِّي أَبَا بَكْرٍ حَتَّى أَصَابَتِ الشَّمْسُ رَسُولَ اللَّه ﷺ فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ

---

١ - قافلين عائدين

٢ - الحرة الأرض السوداء كأنها أحرقت

٣ - عادوا الى بيوتهم

٤ - الأطم البناء المرتفع كالحصن

٥ - يزول به السراب أى يتحرك، والسراب هو ما يظهر للإنسان فى الصحراء كأنه ماء

٦ - جدكم أمركم الهام

حَتَّى طَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ [رواه البخاري، في الحديث ٣٦١٦]

## المسجد مؤسسة جوهرية في المجتمع المسلم.

لَبِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَأُسِّسَ الْمَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى، وَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ فَسَارَ يَمْشِي مَعَهُ النَّاسُ حَتَّى بَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ يُصَلِّي فِيهِ يَوْمَئِذٍ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ مِرْبَدًا لِلتَّمْرِ لِسُهَيْلٍ وَسَهْلٍ غُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي حَجْرِ[1] أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ "هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْمَنْزِلُ" ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْغُلامَيْنِ فَسَاوَمَهُمَا بِالْمِرْبَدِ لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا فَقَالا لا بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً حَتَّى ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا، ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا وَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبِنَ[2] فِي بُنْيَانِهِ وَيَقُولُ وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ

"هَذَا الْحِمَالُ لا حِمَالَ خَيْبَرْ  هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ"[3]

وَيَقُولُ

"اللَّهُمَّ إِنَّ الأَجْرَ أَجْرُ الآخِرَهْ  فَارْحَمِ الأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ"

[ رواه البخاري، في الحديث ٣٦١٦]

ودعا رسول الله ﷺ ربه قائلاً: "اللهمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ

---

١ – أي في رعايته

٢ – الطوب النيء

٣ – أي أن هذا الحمول من اللبن (الطوب النيء) أبر عند الله وأتقى وخيرًا وأكثر ثوابًا وأدوم منفعة وأشد طهارة من حمال خيبر التي تأتي بالتمر والزبيب ونحو ذلك

أَوْ أَشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدِّنَا[1] وَصَحِّحْهَا لَنَا" [رواه البخاري، من الحديث ١٧٥٦]

وتدخل الدعوة مرحلة جديدة

*****

١ – الصاع والمد، من المكاييل